

منهجية البحث في علم الاجتماع

السنة الثانية علم الاجتماع

أعمال موجهة، الأفواج: 1، 2، 3

الأستاذ: عميرات عبد الحكيم

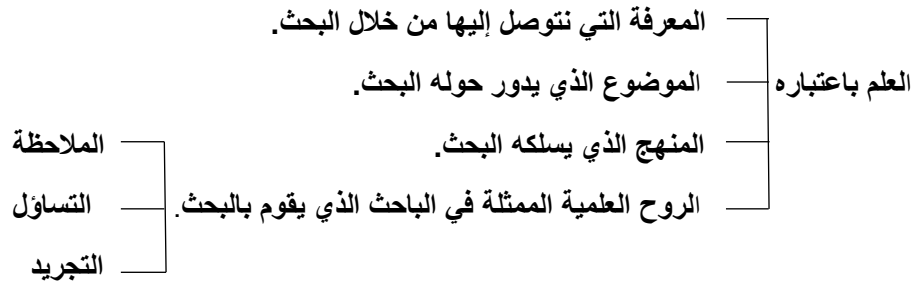
مدخل مفاهيمي في منهجية البحث في علم الاجتماع:

يقوم البحث العلمي باعتباره نشاطا في انتاج المعرفة وتفكيكا علميا في ظواهر الطبيعة والمجتمع، على مجموعة من المفاهيم القاعدية التي ينبغي على الطالب في العلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع على وجه الخصوص باستيعابها وإدراك مدلولاتها، حتى يتمكن من فهم منطق التفكير العلمي وإدراك حقيقة الفعل المعرفي وفقا لأصوله ومقدماته الأبيستولوجية. تعدّ المفاهيم بمثابة أدوات للتفكير العلمي. وحسب أحدهم، "أن تفكر علميا هذا يعني أن تفكر من خلال المفاهيم". من هذا المنطلق ينبغي على الطالب في علم الاجتماع أن يتزود بها ويتهيأ لممارسة البحث في الظواهر الاجتماعية. فعلم الاجتماع يعتبر التخصص الذي يستهدف بالدرجة الأولى البحث من أجل وصف وفهم وتفسير الظواهر، والتنبؤ باتجاهاتها وتطوراتها في المكان والزمان. عندما يكون الطالب فاقدا لمثل هذه الأدوات وغير مستوعب للمفاهيم القاعدية التي يتأسس عليها البحث باعتباره فعلا معرفيا واعيا، سوف لن يحرز أي تقدم من حيث تحصيله العلمي ولن يدرك أبدا دلالة وفحوى البحث العلمي، وسوف يعاني جراء ذلك مشاكل جمة، طوال مشواره الدراسي. وأكبر مشكل سوف يعترضه لا محال عندما يكون بصدد إنجاز لمذكرات التخرج، سواء في مرحلة الليسانس أو الماجستير.

إنّ الخوض في مادة منهجية البحث في علم الاجتماع يعود بنا بالضرورة إلى الحديث عن العلم أو المعرفة العلمية.

لماذا؟ لأنّ البحث كما جاء في كل التعاريف التي تضمنتها كتب ومؤلفات المنهجية، فعل معرفي ونشاط يسعى دوما إلى إنتاج معارف علمية حول الواقع ببعديه الفيزيقي والاجتماعي.

وفي سياق البحث كفعل ونشاط معرفي منظم وقائم على قواعد ومعايير المنهج العلمي، يأخذ مفهوم العلم أبعاد متفاعلة ومتكاملة.



المعرفة العلمية:

وانطلاقا من هذا المفهوم يمكننا اعتبار المعرفة العلمية هي المعرفة التي نتوصل إلى تحصيلها واكتسابها من خلال البحث العلمي. أي من خلال ذلك النشاط أو الفعل الذي يقوم أساسا على قواعد ومعايير المنهج العلمي.

البحث العلمي:

البحث العلمي بالدرجة الأولى هو نشاط عقلائي منتظم، واعي وهادف يسعى نحو انتاج معرفة علمية حول الواقع بمفهومه العام، أي الطبيعي والاجتماعي. والبحث العلمي بهذا المفهوم يعد فعلا معرفيا ينتظم حول مجموعة من قواعد المنهج العلمي وله مجموعة من الأهداف، (الوصف والقياس والفهم والتفسير والتنبؤ..).

البحث الاجتماعي:

هو فرع من فروع البحث العلمي. يتميز بكونه نشاطا يستهدف بالخصوص الظواهر الاجتماعية بمفهومها العام، (العلاقات الاجتماعية، المؤسسات، الجماعات الاجتماعية، التمثلات الاجتماعية، الممارسات الاجتماعية، التنظيمات.. إلخ). وككل بحث علمي يلتزم البحث الاجتماعي إلى جانب الموضوع بمعايير وقواعد المنهج العلمي عموما، مع الأخذ بعين الاعتبار لخصوصيات الموضوع الاجتماعي، أو خصائص الظاهرة الاجتماعية، كما جاء ضمن أدبيات المنهج في العلوم الاجتماعية. لهذا السبب أصبح من الضروري أن يستوعب الطالب في علم الاجتماع مثلا خصائص ومواصفات وميزات الظاهرة الاجتماعية باعتبارها موضوعا للبحث، كي يتمكن من ضبط قواعد المنهج العلمي وفق ما تستلزمه هذه الخصائص.

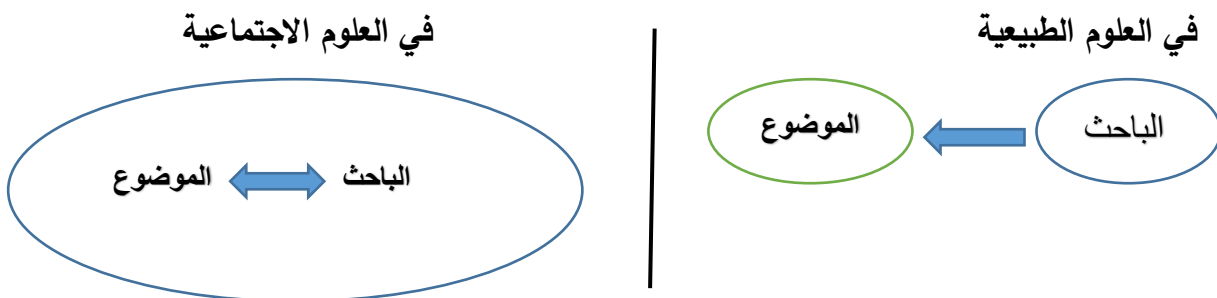
خصوصيات البحث الاجتماعي:

غالبا ما تعترض الباحث في علم الاجتماع على غرار العلوم الاجتماعية الأخرى الكثير من الصعوبات، يكون تجاوزها عادة مرتبط بمدى حنكة وذكاء الباحث وخبرته في ممارسة البحث في الظواهر الاجتماعية. وبالخصوص امتلاكه للأدوات المنهجية الملائمة لمثل هذه الممارسة. معظم هذه الصعوبات راجعة إلى طبيعة وخصوصية موضوع البحث في العلوم الاجتماعية. ويمكننا أن ندرجها ضمن ما يسمى في أدبيات بعض علماء المنهجية وفلاسفة التفكير العلمي، وعلى رأسهم "غاستون باشلار" بالمعوقات الابدستيمولوجية. أي العقبات والعراقيل التي تقف عادة أمام الباحث في علم الاجتماع وتمنعه من الإقتراب العلمي لموضوع بحثه، كما يجري عليه الأمر بالنسبة للباحث في العلوم الطبيعية. مما يفتح الباب واسعا للتشكيك في دقة ومصداقية وعلمية نتائج البحث، بل وفي علمية العلوم الاجتماعية عموما.

على الباحث في علم الاجتماع أن ينظر إلى مثل هذه المعوقات على أنها أمر طبيعي متعلق بطبيعة وخصوصيات الموضوع. ومن هذا المنطلق يجب أن يعي جيدا أن خصوصيات الموضوع في علم الاجتماع تقتضي منه على الأقل تكيف المنهج العلمي من حيث كونه أدوات وتقنيات وإجراءات، بما يتناسب مع الموضوع. وليس في ذلك حرج. وإلا لماذا نتحدث عن مناهج البحث في العلوم الاجتماعية.

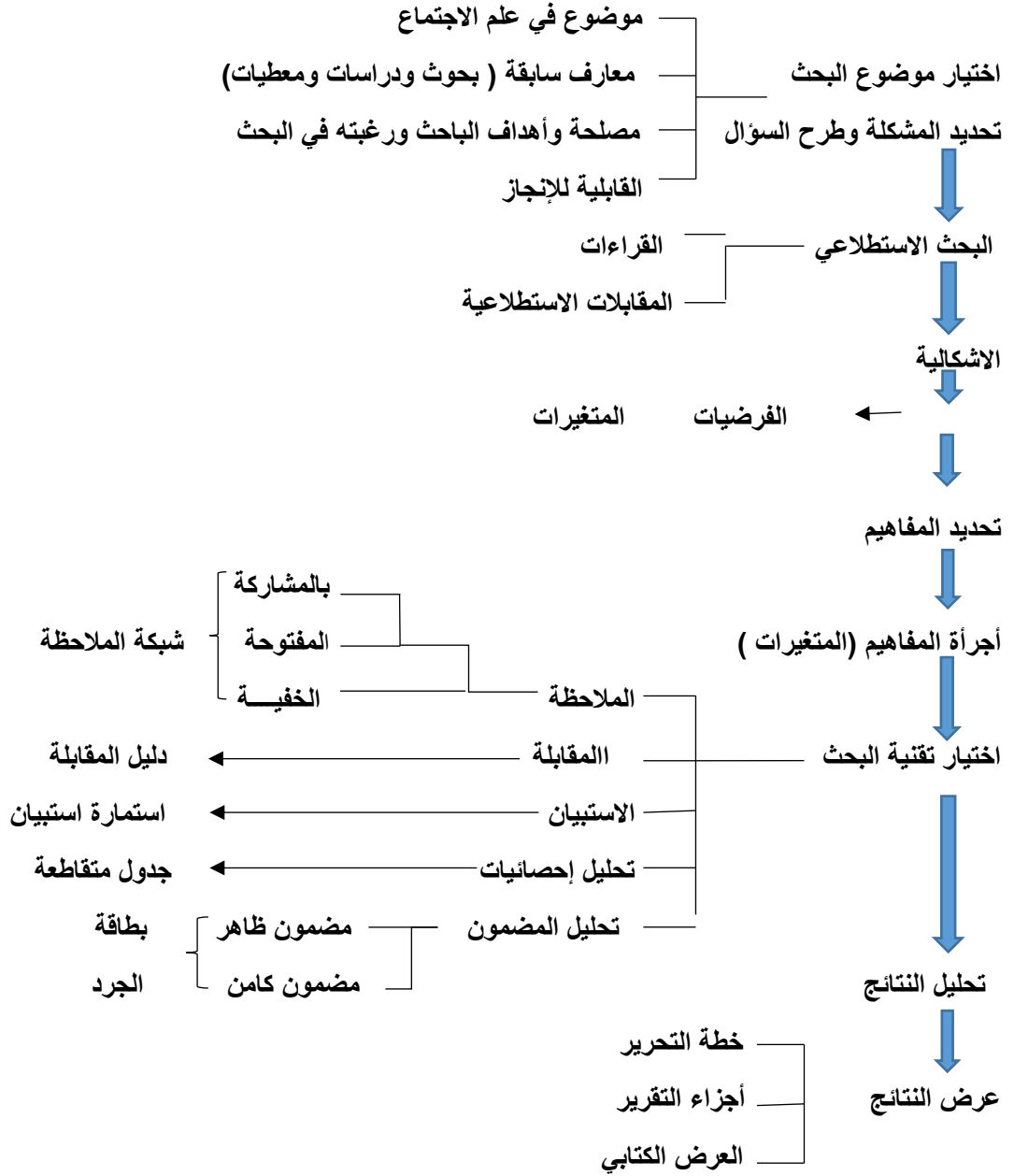
جاءت هذه المناهج كاستجابة منطقية لطبيعة وخصوصيات موضوع العلوم الاجتماعية. " خصوصية الموضوع تقتضي حتما منهاجا خاصا".

أول شكل من أشكال الصعوبة التي تعترض البحث في علم الاجتماع، متمثلة في العلاقة بين الباحث وموضوع البحث. ويمكننا أن نصورها على الشكل التالي:



إذا ما قارنا علاقة الباحث بموضوع بحثه في العلوم الاجتماعية بعلاقة الباحث بموضوع بحثه في العلوم الطبيعية، سوف نلاحظ أنّ الباحث في العلوم الطبيعية مستقل تماما عن موضوع بحثه. مما يساعده على تحقيق مستوى عال من الموضوعية. في حين الباحث في العلوم الاجتماعية وموضوع بحثه في علاقة تبادل وتفاعل، ضمن إطار عام يمثل السياق الاجتماعي أو المنظومة الاجتماعية التي حتما سوف يكون لها تأثير على عملية البحث. الأمر الذي يقف عائقا أمام التحلي بالموضوعية، وبالتالي الوقوع في الذاتية، وهذا مرفوض من وجهة نظر الوضعية.

خطوات البحث في علم الاجتماع:



تمرين تطبيقي:

بالرجوع إلى دروس المحاضرة في مادة منهجية البحث في علم الاجتماع، واستعانة بما جاء في ملخص الأعمال الموجهة أعلاه.

أولاً: أجب عن الأسئلة التالية:

ما الفرق بين المعرفة العلمية وبين الأنواع الأخرى من المعرفة؟

ماهي أهداف البحث العلمي؟

ماذا يميز الموضوع في العلوم الاجتماعية بالمقارنة معه في العلوم الطبيعية؟

وما هي المشاكل التي تترتب عن هذه الميزة أثناء تناوله، في رأيك؟

ثانياً: اختر موضوعاً للبحث ثم حدّد المشكلة التي تريد دراستها من خلال سؤال عام، مراعيًا الشروط التي جاءت ضمن مخطط خطوات البحث في علم الاجتماع أعلاه.

ملاحظة:

تسلم الأعمال في الأسبوع الثاني من فترة التدريس الحضوري المقرر. ولا يقبل أي عمل يسلم بعد هذا الموعد، دون مبرر شرعي.